

# رحلة مانسا موسى من مالي إلى الحج

اهتمام الكثير من الناس الذين اصطفوا في الطرقات لجرد الحصول على نظرة لحاشية الملك. وبعد أن حط الرحال بمكة المكرمة قام مانسا موسى بمناكس الحج قبل أن يعود من جديد إلى امبراطوريته حاملاً لقب الخليفة ومحماً بمراسيم ومشاريع ورسومات بناء كبناء أول مسجد بمدينة تمبكتو وهو المكان الذي توقف فيه في طريق عودته. جدير بالذكر أن مانسا موسى قد أهر العالم كله في رحلته تلك بسخائه الكبير مقدماً هدايا كثيرة وثمانية في شكل نقود وذهب أينما حل طوال رحلته من مالي إلى مكة المكرمة. وقد كان لرحلة حج مانسا موسى التاريخية إلى مكة المكرمة عدد مهم من النتائج والتبعات في تاريخ السودان الغربي وساهمت كثيراً في تطور الإسلام في مالي والأهم من ذلك فتحت الأفق لامبراطورية مالي بالانفتاح على أوروبا والشرق الأوسط. ويعكس حجم الذهب الذي حمله الملك معه والذي يقدر بثلاثين ألف رطل حجم الثروة الهائلة التي كانت تتمتع بها امبراطورية مالي في ذلك الوقت وهو ما خلق انطباعاً خاصاً عند كل من عرفه. ويعتقد المؤرخون أن الفضل يعود للحاج مانسا موسى في التعرف بمكانة السودان الغربي وتداوله ما وراء شمال القارة الأفريقية. وبفضله كذلك تطورت علاقات جديدة مع المسلمين والتجار الذين زاروا امبراطوريته في وقت لاحق. وقام التجار ببناء المساجد وإنشاء المدارس في كامل أنحاء امبراطورية مالي التي مثلت بدورها أسس الدين الإسلامي والتعليم في مالي. وقام التجار كذلك بتوسيع شبكات التجارة في امبراطورية وأصبحت تمبكتو المدينة الرئيسة في مالي والمركز التجاري الرئيس في السودان الغربي. وتبادل التجار من تلك المنطقة الذهب بالملح من شمال الصحراء الكبرى والشرق الأوسط. وفي تلك السنة أيضاً أصبحت العاصمة تمبكتو بجنوب غرب نهر النيجر مركز تجارة الذهب وتعليم الإسلام في ربوع القارة.

وشملت المعاز والأبقار والابل. أما الأمتعة التي حملت على ظهور الحيوانات فكانت تجمع بين الذهب والغذاء والملابس وتضمنت الرحلة حمل أكثر من ثلاثين ألف رطل من الذهب وزعت على حمولة مابين ثمانين ومئة جمل بالإضافة كذلك إلى عدد كبير من الأشخاص الذين رافقوا الملك الحاج في القافلة. وتشير تقديرات المؤرخين إلى أن القافلة كانت تتألف من حوالي ٦٠ ألف فرد من بينهم ١٢ ألفاً من العبيد و٥٠٠ آخرين من الخدم الذين تم اختيارهم من قبل الزوجة الأولى للملك والجنود مع رواية القصص والمعلمين والأطباء. في البداية تجمع مانسا موسى وقافلته في مدينة «نياني» الغينية «التي كانت تعد عاصمة الامبراطورية ومقر إقامة الملك في ذلك الوقت» كنقطة انطلاق لرحلتهم. وفي الموعد المحدد دوت أصوات الطبول الملكية معلنة عن بداية الرحلة. في القافلة كان ٥٠٠ من العبيد يحملون قضباناً من الذهب الخالص تزن الواحدة منها ٤ أرطال وكانوا في مقدمة الرحلة في طريقهم إلى مكة المكرمة. وركب مانسا موسى الخيل والجمال وكان يحمل معه راية الامبراطورية ومروا عبر الصحراء باتجاه مصر حيث زار السلطان الملك الناصر بالقاهرة ومنها إلى مكة. في مصر حظي الملك الأفريقي بترحيب كبير واستقبله المماليك في القاهرة بحفاوة بالغة ومن جانبه أهدى مانسا موسى آلاف من سبائك الذهب. وقد خلص الباحثون إلى أن سعر الذهب قد شهد تراجعاً في العالم أثر رحلة الحج تلك لكثرة ما وُزِعَ من ذهب على طول الرحلة. وبعدها دخل اقتصاد العالم أجمع في حالة تضخم سريع «ارتفاع أسعار» لعشرين سنة متتالية بسبب ذهب تلك الرحلة كما استفاد التجار المصريون من القافلة والملك وباعوا لها السلع بأضعاف السعر العادي. لقد كانت رحلة طويلة دامت ثمانية أشهر ثم بعد أكثر من نصف عام وصل الحاج موسى ورجاله إلى مكة. وفي جزيرة العرب كانت القافلة محور حديث العامة وحازت

خلال القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين حكم ثلاثة أباطرة العالم كان من بينهم الملك مانسا موسى الملقب بملك الملوك الذي حكم مالي في فترة «السنوات الذهبية» لمدة ٢٥ سنة. وبسط مانسا موسى سيطرته على مناجم الذهب في غينيا وكون ثروة عظيمة قبل أن يشد الرحال في رحلة تاريخية. وفي ذلك الوقت جذبت مالي انتباه العالم. كان مانسا موسى رجلاً قوياً وغنياً يهابه الأعداء ولا يتوانى عن فعل الخير أينما كان. كان من أعظم زعماء امبراطورية مالي ومن أشهر زعماء أفريقيا والإسلام في القرون الوسطى. كان عالماً ورعاً إلى جانب حكته السياسية وفي عهده ازدهرت جامعة سانكوري كمرکز للعلم في أفريقيا وقام بتوسيع دولته لتضم مناجم الذهب في غرب أفريقيا وفي عهده صارت عاصمته تمبكتو محط القوافل التجارية عبر الصحراء بالشمال. وكان الحدث الأبرز في سنة ١٣٢٤م عندما قرر الخروج في رحلة الحج إلى مكة المكرمة. ويعتبر المؤرخون أن رحلة الحج التي قام بها مانسا موسى إلى مكة المكرمة تعد واحدة من أكثر القصص المثيرة في تاريخ أفريقيا ذلك لأن موسى حكم أعني وأغنى الامبراطوريات القديمة في أفريقيا. وكانت الرحلة إلى مكة أيضاً مثيرة للاهتمام لأنها فاقت كل المتعارف عليه من حيث عدد الخدم والمرافقين والهدايا التي حملتها حاشية الملك. وخلفت الرحلة إلى مكة المكرمة في ١٣٢٤ أثراً في تاريخ السودان الغربي. كان مانسا موسى متديناً محافظاً وملتزماً بشعائر دينه. وفي بداية العام ١٣٢٤ بدأ الاستعدادات الحثيثة لرحلته الأولى للحج وتقدر المسافة بين مالي ومكة المكرمة بحوالي ٣٠٠٠ كيلومتر. لذلك توجب على المسؤولين والموظفين في امبراطوريته العمل عدة أشهر مسبقاً لتوفير كل ما يلزم للرحلة. وكانت الخطوة الأولى توفير عدد كافٍ من الحيوانات التي سيستخدمها مصادر للغذاء والركوب وحمل الأمتعة



• مبان قديمة

## كانت مسكناً للعشائر الكنعانية والفينيقية ويعني اسمها الخير والجمال

أنها لا زالت موجودة ويقوم بعض الناس أو الأسر الميسورة بابقاء هذه العادة. وجرت العادة أيضاً أن تحجز الخطيبة في البيت بعد اعلان خطبتها فلا تبرحه إلا للأمور الهامة التي تستدعي خروجها ويقاؤها في البيت يتطلب من الأم أيضاً اعدادها اعداداً تاماً لكي تصبح زوجة كاملة لتحوز على رضا زوجها وأهله وبالطبع من العادة المتبعة قديماً أن الخطيب لا يحضر بيت خطيبته أيام الخطبة ولا يراها إلا ليلة الدخلة. كما تعتبر ليلة الغسالة من الليالي التي اندثرت في المجتمع التاروتي فقد كانت العادة أن تستقبل الفتاة صديقاتها وبنات حبيها وقربياتها عند غروب الشمس أو قبلها بقليل ويسيرون في موكب تتقدمهن العروسة وهن ينشدن الأناشيد حتى يصلن إلى العين العودة الخاصة بنساء البلدة وبعد الانتهاء من الاستحمام يعدن الفتيات بالعروسة إلى دارها بأغانين الشعبية وزغاريدهن ومن أغانيهن: هبهب يا مشمر من فوق رأس البيض هبهب يا مشمر خلهيا تتكشمر «فالنة» كحيلة العين خليهيا تتكشمر.

وهكذا يبقين في الغناء حتى يصلن إلى دار أبيها ويكملن فرحتهن وأناشيدهن حتى ساعة متأخرة من الليل ثم يتركوها متمنين للعروسين السعادة والهناء بينما نجد العريس في بيته جالساً على كرسي صغير وحوله الشباب يغنون ويرقصون ويقوم المحسن «الحلاق» بخلق شعر رأسه وذقنه ثم يأخذه الشباب في موكب حافل بالأناشيد والتصفيق حتى يصلوا به إلى أحد العيون أو حمام باشا ولا يكادون يدخلون حتى يقوم الشباب بخدمته من فرك جسمه وتجهيز ملابسه وبعد الانتهاء من استحمامه ما يبرحون الخروج من الحمام بأناشيدهم وأغانيتهم الشعبية وهم في طريقهم إلى بيت العريس ومن أناشيدهم سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله.. والله أكبر أما اليوم فقد تغير بعض الشيء في مراسم الزفاف أهمها هو بقاء الزوج في بيت أهل زوجته فقد بدأت هذه العادة تتلاشى ان لم تكن قد تلاشت فعلاً ففي السابق كان يزف العريس إلى بيت أهل زوجته ويظل هناك بعض الأيام ثم ما يبرح أن يذهب إلى بيته أو المسكن الذي يقطنه فربما كان يسكن مع والديه.

قيل عن تاروت

قال النابغة:

كقوم من أهل الهند صهبا

لحاؤهم يبيعون في دارين مسكاً وعنبراً

قال أعشى قيس:

لها أرج في البيت عال

كانما ألم من تجر دارين أركب.

قال جرير:

ذكرتنا مسك داري له أرج

وذكرها الفرزدق قائلاً:

فلما اجتمعنا بالعالي بيننا

ذكي أتى من أهل دارين تاجرته

قال أبو نواس:

فيه مدام معين الدبك صافية

من مسك دارين فيها نفحة الفار

وتاروت بنوها لتحميمهم من هجمات البرتغاليين ابان غزواتهم إلا ان البعض يرى ان الغزاة البرتغال هم الذين بنوها لتحميمهم من هجمات الأتراك ضددهم إلا أنهم اضطروا لتسليم القلعة عام ١٥٥٩م وخرجوا من تاروت إلى جزيرة أوال «البحرين». وتتكون القلعة من ٤ أبراج يقوم كل واحد منها في ركن من أركانها فناؤها مستطيل تتوسطه بئر عميقة يعتقد أنها لتخزين المؤونة في فترات الحصار ويخز متحف الرياض الوطني بكثير من المقتنيات الأثرية ذات الدلالة التاريخية الهامة التي تم اكتشافها في منطقة قصر تاروت الأثري وكان آخر ما اكتشف هو مدفع حربي قديم يعود بتاريخه لنفس الحقبة الزمنية وهو موجود في متحف الدمام الاقليمي.

المساجد في تاروت

أشهرها مسجد السوق ويعرف بمسجد العين أو الحمام مسجد الشيخ رضي الصفار وهو داخل الديرة مسجد الحوامي ويعرف بمسجد ابو مهدي مسجد ابو غامس في الحوامي مسجد ابو عزيز قرب سوق السمك القديم مسجد ابو ذر الغفاري المعروف بمسجد المضوي سابقاً على طريق دارين.

الرياضة في تاروت

هناك نواد كثيرة في الجزيرة اهمها الهدى بتاروت والنور بسنابس الذي تأسس عام ١٣٩١هـ بعد ان سجل رسمياً غير اسمه السابق وهو هلال الجزيرة والجزيرة بدارين والهدف في الربيعية الذي تأسس عام ١٣٨٦هـ ولكل الاندية أنشطة رياضية وثقافية داخل مبانيها.

الصناعات

كانت هناك مصانع صغيرة منها مصنع الاواني الفخارية وكان الاهال يصنعون بعض حاجياتهم مثل الحبال والفرش مثل الخوصية والصوفية ويقوم بهذا العمل سيدات المجتمع التاروتي كما عرف على رجال اهل تاروت بصناعة المراكب الشراعية وصناعة الاثاث كالسجم وهو سرير نوم الطفل «المنز» والقفص وهو لوضع الطيور وهناك انواع منها لوضع الفواكة والخضار وهذه الصناعات تتعلق بالنخلة التي تعتبر المصدر الاول لهذه الصناعات الشعبية.

اما في السنوات الاخيرة ظهرت مصانع كثيرة منها مصنع للتلج ومصنع للطوب الاسمنتي والالمنيوم ومصانع قطع الحجر والرخام ومصنع للحلوى في دارين وهو الوحيد والفريد في جزيرة تاروت هذا بالإضافة إلى ورش الحدادة والحجارة والميكانيكا.

عادات وتقاليد

من المعتاد عند أغلب الاسر في المنطقة أن يتخير أهل العروسين لاعلان يوم الخطبة بتقاءلون به ويتوافد المدعوون من الأهل والجيران لكلا العروسين وتبدأ سلسلة التهاني والتبريكات ورائحة البخور والطعام والمولد هو السائد وقد جرت العادة في تاروت أن يقوم أهل العريس بتقديم كمية من السمك لأهل العروس ويقوم هؤلاء بدورهم بتوزيع السمك على الأهل والمعارف والجيران اعلاماً لهم أن الفتاة ابنة فلان قد خطبت إلى ابن فلان وهي من العادات التي تتميز بها جزيرة تاروت عن بقية جاراتها مع العلم أن هذه العادة بدأت تختفي هذه السنوات إلا



• خطوات الرحلة الى الحج